الطفولة بين الأمان والحرمان

الأطفال هبةٌ ربانية ومنحة إلهية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، والأطفالِ كائنات غضة طرية، تسعد بالابتسامة والحنو وحسن التوجيه، فتثمر ثمارا طيبة في المجتمع، فتنفع نفسها وأهلها، وتتقدم بها مجتمعاتها، وفي المقابل تذبل الطفولة وتشعر بالأسى من الغلظة والقسوة والفظاظة، والأطفال لا يرحمهم إلا رحيم، ولا يقسو عليهم إلا لئيم.

إن طفل اليوم هو رجل الغد، وهو الذي سيتبوأ أعلى المناصب وأرقاها، فإذا تعاهدهم المجتمع، ومن قبله الأسـرة، بالرعايـة وبث الأمان في نفوسهـم؛ نشـؤوا أخياراً فضـلاء، والعكس بالعكس، فلا يُجْنَى من الشوك العنب.

ومن الظواهر المستحدَثة والغريبة على مجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ ظهور حالات متعددة في الاعتداء على الأطفال والعدوان عليهم، وليس هذا كلاماً مرسلاً، بل سمعنا عن حوادث كثيرة في مجتمعنا السعودي المحافظ يظهر فيها اعتداءات سافرة على براءة الأطفال، وقد تم نشر بعض هذه الوقائع في حينها.

تعريف العنف ضد الأطفال:

الاعتداء على الأطفال هو أي اعتداء جسدي، أو جنسي، أو سوء معاملة، أو إهمال يتعرض له الطفل.والاعتداء على الطفل يمكن أن يُمَارس في البيت، أو في المنظمات، أو المدارس، أو في أي من المجتمعات التي يتفاعل فيها الطفل.

هناك أربع فئات رئيسية للاعتداء على الأطفـال: الإهمـال، والاعتـداء الجسدي، والاعتداء النفسي أو المعنوي، والاعتداء الجنسي.

أشكال العنف وأقسامه:

إن العنف الذي يُمَارس ضد الأطفال له أشكال وصور متعددة، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١-العنف المنزلي:

وهو العنف الجسدي أو النفسي الذي يمارس ضمن إطار الأسرة الواحدة سواء كان من قبل الأب أو الأم أو الإخوة.

وليس القصد بالضرب هنا الضرب التربوي (أو التأديبي كما يصطلح عليه البعض) وإنما العنف الجسدي كالضرب المبرح، سواء كان باليد أو باستخدام أداة معينة.

ورغم أن البعض يحاول إلصاق مثل هذا الفعل في الأسر غير المتعلمة أو غير المثقفة أو الفقيرة دون سواها، إلا أن ذلك غير دقيق؛ حيث تثبت الوقائع أن مثل هذه الممارسات تتم حتى بين الأسر المثقفة والمتعلمة وغيرها بدون استثناء؛ وهو ما يعكس وجود ثقافة تربوية غير صحيحة بوجه عام.

كذلك من بين أشكال العنف المنزلي تقرير مستقبل الأطفال باختيار الدراسة أو العمل الذي قد لا يتناسب مع ميولهم وقدراتهم وكذلك إجبارهم على العمل وترك الدراسة وما إلى ذلك من أمور.

٢-العنف النفسي:

كذلك هي الحال بالنسبة للعنف النفسي؛ كالشتم والسباب والتقريع الحاد أو التعيير، أو الحبس في مكان مغلق كالحمام مثلاً لساعات طويلة، أو غير ذلك من أساليب التعذيب النفسي التي تضاهي أحياناً ما يبتدعه أكثر المجرمين والمعذبين تمرساً.

والعنف النفسي إجمالاً يعني التعامل مع الطفل بشكل سلبي (عاطفياً أو نفسياً)، متمثلاً ذلك فيما يلي:

أ-الرفض: وهو عدم توفير الراشد لحاجات الطفل الأساسية.

ب-العزل: وهو عزل الطفل عن اكتساب التجارب الاجتماعية.

ج-الترهيب: وهو التهجم على الطفل لخلق جو من الرعب والخوف والهلع في نفسه.

د-التجاهل: وهو تجاهل النمو العاطفي، والتطور الثقافي للطفل.

س- الإفساد: وهو تشجيع الطفل أو إجباره على القيام بسلوك تدميري مثل السرقة أو التسول أو استغلاله في ترويج المخدرات.

و-الإساءة اللفظية والحركية: وهو التلفظ بعبارات أو بإشارات أو حركات تعبر عن الإهانة النفسية للطفل.

٣-العنف المدرسي:

رغم أن المدرسة مؤسسة تربوية قبل أن تكون تعليمية إلا أن بعض الممارسات التربوية الخاطئة لا تزال تمارس فيها ضد الطفل.

ويأتي على رأس هذه الممارسات الضرب المبرح والعقاب القاسي الذي قد لا يتناسب في بعض الأحيان مع حجم الخطأ الذي يرتكبه الطفل أو سنه. وفي الكثير من الأحيان يتسبب هذا النوع من العنف ضد الأطفال وبالأخص في مرحلة المراهقة أي في المرحلتين الإعدادية والثانوية إلى ظهور حالة من العنف المضاد لدى الطفل، فتبدأ معادلة العنف والعنف المضاد تبث سمومها الاجتماعية والأخلاقية، وترمي بآثارها السلبية على العملية التربوية.

٤-إهمال الأطفال نوع من أنواع العنف ضدهم:

وهو أكثر أنواع العنف ضد الأطفال انتشاراً في المملكة، فقد أشارت جريدة الشرق الأوسط إلى أن الإهمال أكثر أنواع العنف انتشاراً ضد الأطفال في السعودية، وأشارت إلى ما كشفه مسؤول طبي في المنطقة الشرقية أن أكثر حالات العنف ضد الأطفال انتشاراً في السعودية هي حالات الإهمال؛ حيث أدرج الإهمال بوصفه نوعاً من أنواع العنف ضد الأطفال، والتي تشمل العنف الجسدي والعنف النفسي والعنف الجنسي، موضحاً أن مراكز الحماية من العنف والتي يبلغ عددها نحو ٣٩ مركزاً على مستوى السعودية؛ لا تولي هذا النوع من العنف العناية التي يستحقها، مقارنة بحجمه على أرض الواقع.

٥-استغلال الأطفال في أعمال شاقة:

رغم أن أغلب الدول تعتمد إلزامية التعليم بالأخص في المرحلة الابتدائية، إلا أنه لا تزال العديد من حالات التسرب من التعليم تسجل في جميع الدول. وتتفاوت نسبة التسرب من بلد لآخر تبعاً لعوامل وظروف عدة. وتتجه الغالبية العظمى من المتسربين من التعليم إلى سوق العمل بالأخص إذا كان هذا التسرب ناتجاً عن تأثيرات العامل الاقتصادي والفقر. وحتى في حال استمرار الطفل في المدرسة وعدم تسربه من التعليم؛ فإنه قد يتجه للعمل في فترة العطلة الصيفية بهدف تحسين الوضع المالي للأسرة.

ويفضل بعض أصحاب الأعمال والتجار والحرفيون تشغيل الأطفال كما هو معلوم لسببين رئيسيين هما:تدني مستوى الأجر، وإمكانية السيطرة عليهم. وفي موقع العمل يتعرض الطفل لأشكال متعددة من الامتهان والإهانة والإجهاد، كما يتعرض للعنفين الجسدي والنفسي تحت ستار مصلحة الطفل تماماً كما هي الحال في المدرسة والمنزل.

ويأتي سكوت الأهل على مثل هذه الممارسة ضد أطفالهم في الغالب من حقيقة الحاجة إلى العمل والقوت وخوف الأسرة من فقدان هذا الطفل لهذه المهنة. وحتى إذا لم يتعرض الطفل لأشكال العنف الظاهري سواء كان الجسدي أو النفسي؛ فإن مجرد تشغيل الطفل، وإرهاقه بالأعمال

حكومة خادم الحرمين حفظه الله دشنت خط مساندة الطفل في السعودية (١١٦١١١)

التي تفوق قدرته وطاقته يعد اعتداءً صارخاً على الطفل.

صور العنف ضد الأطفال في المجتمع السعودي والعربي:

تعددت صور الاعتداء والعنف ضد الأطفال في المجتمع، ومن ذلك: ما صرحت به المدير التنفيذي لبرنامج الأمان الأسري الوطني د. مها المنيف أنه تم تسجيل ٢٠٦ حالات عنف ضد الأطفال في المملكة في عام ٢٠١٢م، منها ٦٠٪ إيذاء و٢٠٪ عنف جسدي، والنسبة المتبقية هي إهمال وعنف نفسي.

وقالت المنيف: إن إحصائية الحالات المبلّغ عنها، والعنف الجسدي هو الأكثر تبليغاً؛ لسهولة اكتشافه، والعنف الجنسي أكثر إهمالاً لصعوبة اكتشاف حالاته، بينما العنف النفسي هو الأكثر انتشاراً والأقل تبليغاً، ووفق السجل الوطني لحالات إساءة معاملة الأطفال.

أبرز الحلول للحد من العنف ضد الأطفال:

قامت حكومة خادم الحرمين حفظه الله بجهود ضخمة لمقاومة العنف ضد الأطفال والحد منه، كان آخرها تدشين خط مساندة الطفل في السعودية (١١٦١١١)، وقد قوبلت هذه الخدمة بترحيب طيب من المجتمع والمختصين؛ لما لها من آثار إيجابية على المجتمع كله، إذ الطفل أول لبنة في بناء المجتمع، وتأتي هذه الخطوة التي أطلقها برنامج الأمان الأسري توفيراً للحماية الواجب توفيرها للطفل، لينمو عضواً فاعلاً ومميزاً في المجتمع.

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نلخص الإجراءات العلاجية والوقائية للحد من هذه الظاهرة في التالي:

١- العمل على زيادة الوعي الديني والأخلاقي والتربوي والتعريف بحقوق الطفل وواجبات المربين.

٢- وضع الأنظمة والتشريعات التي تضبط أسلوب التعامل مع الأطفال في المدارس.

٣- تعزيز الدور الإعلامي في محاربة هذه الظاهرة، وتسخير الأعمال الدرامية لخدمة مثل هذه الفرص.

٤- إيجاد وسائل الترفيه السليم والنافع.

٥- معالجة الإصابات أو المضاعفات التي يتعرض لها الأطفال.

وختاماً فإن الأطفال أمانة في المجتمع، متى حافظنا على هذه الأمانة فنمت أورثت المجتمع خيراً، ومتى أُهملت وأُوذيت فلن نجني من ورائهم خيراً، ثم نرجع فنلوم أنفسنا يوم لا ينفع الندم.